

فبراير

2018



الحضارة تواصل
Civilization In Dialogue

مجلس العلاقات الدولية - فلسطين
Council on International Relations - Palestine

ورقة سياسية رقم (1)

التقارب الهندي الاسرائيلي وأثره على القضية الفلسطينية



تصدر عن مجلس
العلاقات الدولية -
فلسطين

جوال: 0595780780

بريد الكتروني:

cir.g.pal@gmail.com

العنوان: غزة - شارع النصر

- مفترق الثورة - عمارة

الصفا - ط3

مجلس العلاقات الدولية - فلسطين

تهدف هذه الورقة إلى الوقوف على تطورات العلاقات الهندية الإسرائيلية وانعكاساتها على موقف الهند من القضية الفلسطينية، فموقف الهند من الصراع العربي الإسرائيلي بدأ بمساندة الشعب الفلسطيني، ثم أخذ بالتحول نحو الوقوف على الحياد أو الموازنة في علاقاتها مع طرفي الصراع، إلى أن وصلت إلى الشراكة أو التحالف مع الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما جعل القضية الفلسطينية تتجه إلى خسارة أهم حلفاءها.

تناولت الورقة تسلسل العلاقات الهندية الإسرائيلية وأشكال التعاون ونوعه والأسباب والعوامل التي شكلت دافعاً للهند وإسرائيل لتعميق وتعزيز التعاون فيما بينهما، مع التركيز على أهم المكاسب التي حققتها إسرائيل من شراكتها مع الهند، وصولاً لتداعيات ذلك على العلاقات الهندية الفلسطينية.

وقد توصلت الورقة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- نجاح إسرائيل في ضرب واختراق شبكة العلاقات الفلسطينية والتخلص من أهم الداعمين لقضيتهم عبر التحالف معه.
- استغلال إسرائيل لأهم محددات السياسة الخارجية الهندية القائمة على تحقيق المصالح القومية، عبر البحث عن التقاطعات والقواسم المشتركة، لأن إسرائيل تدرك جغرافية الهند وتستغل كل المداخل لتعميق الشراكة معها.
- قدرة إسرائيل على استغلال الظروف الداخلية الهندية، وما كان لذلك من أثر كبير على التقارب مع نيودلهي، فالحكومة اليمينية الموالية لواشنطن تزداد قناعتها مع مرور الوقت بأن المقاومة الفلسطينية ما هي إلا جماعات إرهابية تضر بالمصالح الهندية مع إسرائيل.
- أن التعاون الهندي الإسرائيلي في باقي المجالات يضر بالقضية الفلسطينية بشكل مباشر إذ أنه يوفر فرصة لإفلات إسرائيل من الإدانة الدولية في المحافل المختلفة، كما أنه يفتح السوق الهندية الكبيرة أمام المنتجات الإسرائيلية مما يُمكن إسرائيل من الصمود أمام حركة المقاطعة الدولية.

التقارب الهندي الإسرائيلي وأثره على القضية الفلسطينية

تقديم

انتظرت إسرائيل طويلاً وبفارغ الصبر تلك اللحظة التي حانت مع وصول رئيس الوزراء الهندي "تاريندرا مودي" الذي زار إسرائيل في 4 يوليو من العام الماضي، ولم يفوت ننتيا هو فرصة ذكرى مرور 25 عاماً على العلاقات الإسرائيلية الهندية تمر مرور الكرام، فتوجه على رأس وفد كبير من رجال الأعمال إلى الهند لتعميق العلاقات بين البلدين.

شهدت العلاقات الهندية مع إسرائيل تحولات هامة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وباتت الهند أهم شركاء إسرائيل التي نجحت في تحويل علاقاتها مع الهند من القطيعة إلى التحالف

كان عام 2014 الذي شهد وصول اليميني المتطرف الهندوسي مودي إلى رئاسة الحكومة الهندية مثالياً بالنسبة لإسرائيل التي تنفست الصعداء بعد وضع حدّاً لحقبة نهرو وسلالته التي عُرفت بدعمها للقضية الفلسطينية. ورغم مرور أكثر من عقدين على التعاون بين الهند وإسرائيل، حيث بدأت رسمياً في 1992 إلا أن الأشهر الأخيرة شهدت الكثير من الزيارات الدبلوماسية التي تخللها توقيع المزيد من الاتفاقيات في المجالات العسكرية والتجارية والزراعية وغيرها، وهو أمر لا يمكن تجاهله، لأن انفتاح إسرائيل على دولة مثل الهند والدخول في شراكة وتحالف استراتيجي معها يشكل خسارة كبيرة للقضية الفلسطينية، فهذا البلد الآسيوي الكبير كان أكبر وأهم الداعمين والمناصرين لحقوق الشعب الفلسطيني.

أولاً: تحولات العلاقات الهندية الإسرائيلية

شهدت العلاقات الهندية مع إسرائيل تحولات هامة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وباتت الهند أهم شركاء إسرائيل التي نجحت في تحويل علاقاتها مع الهند من القطيعة إلى التحالف، وشكل المدخل الاقتصادي والتعاون العسكري والتكنولوجي عوامل مهمة لوصول العلاقات بين البلدين إلى هذا المستوى، خاصة وأن الهند لم تعد معنية بالبُعد المعنوي ودعمها للقضايا العربية "القضية الفلسطينية" بقدر ما يهتما مصالحها الاستراتيجية، فهي تسعى لأن تكون القوة الأكبر في محيطها الآسيوي المُعقد، وهو ما توفره إسرائيل لها من اتفاقيات الشراكة والتعاون في المجالات المختلفة.

1- الهند وإسرائيل من قطيعة إلى تحالف استراتيجي

حققت إسرائيل نجاحات يصعب تجاهلها في نقل علاقاتها مع الهند من مربع القطيعة إلى مربع الشراكة، ولما كانت الأخيرة تلعب دوراً محورياً في كتلة عدم الانحياز خلال مرحلة نهرو وأنديرا غاندي، كانت القطيعة عنواناً للعلاقات الهندية الإسرائيلية، غير أن التقارب بين البلدين بدأ يشق طريقه بعد أقامه علاقات دبلوماسية كاملة عام 1992، فالتعاون الوثيق بين البلدين في كافة المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية، جعل السوق الهندية واحده من أهم الأسواق المستقطبة للصناعات العسكرية الإسرائيلية. (1)

مع بداية الألفية الثالثة بدأت الزيارات المتبادلة تُحقق الكثير من أشكال التعاون، وفي يوليو 2001 وقّعت الهند وإسرائيل على أول صفقة تجارية وعسكرية قُدرت قيمتها بملياري دولار أمريكي، حيث حصلت الهند على معدات عسكرية إسرائيلية متطورة في المجال الجوي، لكن العام الذي تلى شهد المزيد من النشاط للدبلوماسية الإسرائيلية، فاستقبلت العاصمة الهندية وزير الخارجية الإسرائيلي آنذاك شمعون بيرز، كما استقبلت في سبتمبر 2003 رئيس الحكومة الإسرائيلية أريئيل شارون، وتمخض عن تلك الزيارات حصول الهند على أنظمة رادار من نوع "فالكون" في فبراير 2004، بالإضافة إلى خمسة طائرات استطلاع إسرائيلية لتأمين حدودها مع باكستان والصين عام 2005.

أخذ التعاون العسكري شكلاً
تصاعدياً بين الجانبين وشهد
عام 2009 على أكبر صفقة
عسكرية في تاريخ العلاقات
بينهما قُدرت بملياري دولار

أخذ التعاون العسكري شكلاً تصاعدياً بين الجانبين وشهد عام 2009 على أكبر صفقة عسكرية في تاريخ العلاقات بينهما قُدرت بملياري دولار، وبدأت الشركات الإسرائيلية تستغل هذا التعاون وتوقع مزيداً من الصفقات مع الهند في المجالات المختلفة، خاصة وأن دلهي بحاجة لتطوير سلاحها القديم الذي كان يعتمد على التكنولوجيا السوفيتية القديمة، كما أنها تسعى لمواكبة التطور في المجال الاقتصادي والزراعي. (2)

في ظل التحولات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط خلال ثورات الربيع العربي، وما ترتب عليها من تحولات مفصلية أدت إلى انتقال إسرائيل من موقع العدو إلى موقع الحليف مع الكثير من دول المنطقة، أصبحت الهند الهدف الأكثر سهولة بالنسبة لإسرائيل التي سعت جاهداً لتطوير علاقاتها مع هذا البلد الكبير من حيث الجغرافيا وعدد السكان والعقول وغيرها من الموارد التي تمكنه من لعب أي دور سياسي في الوقت الحالي وفي المستقبل، فكان الرابع من يوليو 2017، علامة فارقة في تاريخ العلاقات الهندية الإسرائيلية، حيث استقبلت تل أبيب رئيس الحكومة الهندية "ناريندرا مودي" في زيارة وُصفت بالتاريخية، وقد أعقبها زيارة لرئيس الحكومة الإسرائيلية "نتنياهو" الذي زار الهند في 13 يناير 2018، وقع خلالها الكثير من الصفقات في المجالات العسكرية والتجارية والزراعية وغيرها، لذلك كانت الشراكة الهندية مع إسرائيل كفيلاً بتحويل مواقف الهند من حالة الدعم والمساندة للقضية الفلسطينية، إلى حالة الحياد.

2- حجم ونوع التبادل التجاري والعسكري والسياسي بين البلدين

شهد التعاون الهندي الإسرائيلي تطوراً ملحوظاً خلال السنوات الأخيرة، وتنوع التبادل التجاري ليشمل الكثير من المجالات، الثقافية والاقتصادية والزراعية والتكنولوجية، وقد شكلت السوق الهندية الكبيرة حلقة اتصال مع الشرق الأقصى ومبيعات السلاح.

ومع توسيع هذا التعاون بين البلدين وخصوصاً في المجال الأمني، أصبحت تل أبيب المورد الثاني للسلاح إلى الهند بعد روسيا، وهو ما مهد الفرصة أمام إسرائيل لنشر غواصاتها في المحيط الهندي.

ومنذ بداية تسعينات القرن الماضي حتى مطلع الألفية الثالثة شهدت علاقات التعاون بين نيودلهي وتل أبيب نحو 200 مشروع مشترك في مجالات الهندسة وإدارة المياه الجوفية ومحاربة التصحر والتكنولوجيا الرفيعة وغيرها. وقد ارتفعت الاستثمارات الإسرائيلية في الهند من 36 مليون دولار عام 1992 إلى مليار دولار عام 1999. (3)

في هذا الصدد تؤكد "وشرية بيرودكار"، الكاتبة "بموقع ميدا" أن زيارة نتتياهو، في يناير الماضي للهند والذي أصرح معه عشرات رجال الأعمال ورؤساء الشركات الإسرائيلية، تسعى لزيادة حجم التبادل التجاري مع الهند من أربعة إلى عشرة مليارات دولار سنوياً، على أن تتركز في الصادرات العسكرية التي تقدر قيمتها بـ500 مليون دولار.

من ناحية أخرى شهدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين تطور غير مسبوق، حيث أضحى التعامل الدبلوماسي المتبادل وفق ما يُعرف بمعاملة "الدولة الأولى بالرعاية"، وهو ما يدل على عمق العلاقات الدبلوماسية، خاصةً وأن تل أبيب نجحت في توظيف القضية الهندية الباكستانية لصالحها، فكسبت موقف الهند لصالحها في بعض القضايا التي تتعرض فيها إسرائيل للإدانة الدولية، مقابل تأييدها للهند في مواجهة باكستان.

في هذه الأثناء يظهر التقارب في العلاقات الهندية - الإسرائيلية بشكل أكثر وضوحاً، حيث أنها لم تعد تتبنى مشروعات قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية، كما أصبحت تمتنع عن إدانة التصرفات الإسرائيلية حيال الفلسطينيين.

ولعل أبرز ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد انفصال الهند عن انضمامها التقليدي للمعسكر المعادي لإسرائيل، حين امتنعت عام 2014 عن التصويت على تقرير للأمم المتحدة حول حرب غزة الأخيرة 2014، حتى أن الدبلوماسيين الهنود باتوا يبتعدون عن استخدام مفردات قاسية بحق إسرائيل كما جرت العادة سابقاً، رغم استمرار الهند بإدانة الاستيطان، ورفض قرار الرئيس الأمريكي الأخير بحق القدس. (4)

3- أسباب التحول في العلاقات الهندية الإسرائيلية

ثمة الكثير من الأسباب التي كانت بمثابة رافعة للهند وإسرائيل، وحفزت كل من تل أبيب ودلهي للاندياع نحو تطوير العلاقات بينهما، ولعل أبرز هذه الأسباب هي:

أ- التطبيع العربي مع إسرائيل

مع اندلاع حرب الخليج الثانية عام 1990 انشغلت الدول العربية بتأمين بقاء أنظمتها الحاكمة، وكان على رأس أولويات العواصم العربية، سلامة أراضيها في مواجهة خطر متوقع أو حقيقي من عراق مستبد، وقد خلقت تلك الحرب وضعاً لم يعد فيه تناقض بين مناصرة قضية فلسطين، وفي الوقت نفسه إقامة علاقات عادية مع إسرائيل، وكان هذا يعني بالنسبة لغير العرب إمكانية التعامل مع إسرائيل دون المخاطرة بإغضاب العرب.

في الوقت ذاته كانت آثار تفكك الاتحاد السوفييتي ونتائج حرب الخليج التي أسست للحل السلمي ومرحلة جديدة في الشرق الأوسط، وهو ما جعل الكثيرون يستبشرون بإمكانية حل المشكلات الدولية، الأمر الذي مهد الطريق لمحادثات السلام العربية الإسرائيلية، والتي كانت بداية الطريق نحو التطبيع.

تلك التحولات أدت إلي تغيير إطار عمل السياسة الخارجية الهندية التقليدية، وأعطاهما بعض القدرة علي المناورة، حيث لم تعد اسرائيل دولة منبوذة، وأصبح من الممكن إقامة اتصالات دبلوماسية عادية معها، إضافة الي احتمال آخر، وهو إدراك الحكومة الهندية وجود كتلة أصولية إسلامية جديدة مُحتملة تضم باكستان وإيران وجمهوريات آسيا الوسطي، لا يمكن غض الطرف عن إمكاناتها بإلحاق الضرر بالمصالح الهندية.

خاصةً وأن الهند كانت تتعرض للهجوم حول قضية كشمير من عدد من البلدان الإسلامية، وبصفة خاصة من باكستان التي واصلت دعايتها ضد الهند بطريقة متواصلة في غرب آسيا وشمال أفريقيا من أجل خلق كتلة إسلامية لتدويل المشكلة الكشميرية، في الوقت الذي نادي فيه البعض بان إسرائيل والهند يمكن أن تتعاونوا لدرء هذا الخطر الذي دفع إسرائيل والهند للتعاون بشأن محاربة الإرهاب، وهو ما أكد عليه رئيس الحكومة الإسرائيلية خلال زيارته الأخيرة للهند في منتصف يناير 2018، حيث أكد نتياهو على تمكن التعاون الاستخباراتي الهندي الإسرائيلي من إحباط نحو 30 عملية إرهابية خلال السنوات الأخيرة على حد زعمه. (5)

في هذا السياق لم تعد الهند
تشعر بأي نوع من الحرج
حينما تحرص على تطوير
علاقاتها مع إسرائيل، فزيارة
نتياهو الأخيرة للهند لم يكن
لها أي صدى على المستوى
العربي ولم تتأثر العلاقات
العربية الهندية بتلك الزيارة

في هذا السياق لم تعد الهند تشعر بأي نوع من الحرج حينما تحرص على تطوير علاقاتها مع إسرائيل، فزيارة نتياهو الأخيرة للهند لم يكن لها أي صدى على المستوى العربي ولم تتأثر العلاقات العربية الهندية بتلك الزيارة، وما سبقها من زيارات متبادلة بين الجانبين، فغضب الرأي العام الهندي الداخلي والتظاهرات التي خرجت لتعبر عن رفضها لزيارة رئيس

الحكومة الإسرائيلية، أرغمت بعض رجال الأعمال الهنود وبعض الفنانين اللذين استقبلوا نتياهو على الاعتذار للشعب الهندي، وقد أضطر رئيس الوزراء الهندي "ناريندرا مودي" في 10 فبراير الجاري إلى زيارة رام الله ولقاء الرئيس الفلسطيني للتخفيف من حدة الغضب الذي أجتاح الشارع الهندي على إثر زيارة نتياهو، وتحقيق نوع من التوازن في السياسة الخارجية الهندية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي.

ب- حاجة الهند للتطور التكنولوجي في إسرائيل

في خضم تلك التحولات التي أرخت بظلالها على المنطقة وما صاحب ذلك من بزوغ التحدي الصيني في آسيا، وانتقال النقل الاقتصادي في المنطقة العربية إلى الخليج بعلاقاته القوية مع باكستان، والحاجة إلى فتح السوق الهندي ومن ثم التقارب مع الولايات المتحدة، أدركت الهند حاجتها لتطوير اقتصادها ليواكب التطورات وتعزيز قدراتها الأمنية وتطويرها، فالاعتماد على السلاح السوفيتي لم يعد ممكناً، فكان ملف التطوير العسكري بشكل خاص على رأس الأجندة الهندية، حيث اندفعت نحو تطوير علاقاتها مع طرف يملك القدرة على سد تلك الثغرة، وهي واحدة من الدوافع الرئيسية لقرار تدشين العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل عام 1992 تحت رئاسة وزراء "ناراسيما راو".

كانت هناك عوامل إضافية في نهاية التسعينيات أدت إلى تعميق الشراكة العسكرية مع إسرائيل، فالخطر الأمريكي على التعاون العسكري مع الهند بسبب تجاربها النووية كان قد أظهر ضعف قدراتها العسكرية أمام باكستان التي كانت تحظى بدعم أمريكي عام

1999، وكذلك انحياز الصين لها نظراً للتنافس التاريخي بينها وبين الهند، علاوة على تراجع علاقات الهند بالعالم العربي بعد وصول حزب "بهارتيا جاناتا" القومي الهندوسي للسلطة لأول مرة، وابتعاده أكثر عن الشرائح المسلمة داخل الهند وأحزاب اليسار، وهي عوامل وظفتها إسرائيل لدخول السوق الهندية.

في هذه الأثناء لم تجد دلهي سوى أيادي إسرائيل الممدودة، والتي طالما تطلعت إلى تشكيل علاقة قوية مع الهند فيما يشبه حباً من طرف واحد، حتى قررت الهند أخيراً الاستجابة جزئياً للتودد الإسرائيلي للحصول على مميزات ترسانة تل أبيب المتطورة، والتي باتت دلهي أكبر مستهلك لها في العالم، علاوة على الوصول بصورة غير مباشرة لأحدث تقنيات الغرب العسكرية من بوابة تل أبيب أيضاً. (6)

لذلك كانت هناك قناعة لدى الأوساط السياسية في الهند أنه بينما كانت تُصِر الهند طويلاً على موقفها المساند للقضية الفلسطينية، كانت تعتقد بان هناك مزايا كبيرة في تطوير صلات أوثق مع إسرائيل، بما في ذلك التعاون في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والتقنية المتقدمة والدفاع، وأنه يمكن لتجارب إسرائيل وخبرتها في مجال الزراعة والتقنية المتقدمة أن تعود بفائدة كبرى على الهند، وهو ما تحقق خلال السنوات الأخيرة، وهنا يمكن الإشارة لأهم أهداف "إسرائيل" من تقاربها مع الهند:

- تطويق الصين القوة المرشحة لمنافسة الولايات المتحدة الأمريكية مستقبلاً وضرب أي تحالفات ناشئة بين بكين وموسكو.
- الاقتراب من حدود إيران من الجنوب الشرقي، ومحاولة حرمانها من أي بدائل اقتصادية وسياسية، وإضعاف قدرتها على مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية.
- سعيها لكسب مؤيديين جدد في صراعها مع الفلسطينيين، أو على الأقل تحييد موقف الهند من القضية الفلسطينية.
- اختراق السوق الهندية الكبيرة التي تتجاوز حد المليار و300 مليون نسمة.
- تحقيق أكبر فائدة من حدود الهند الجغرافية الكبيرة، خاصة وأن جغرافية إسرائيل الصغيرة تحرمها من إجراء الكثير من عمليات تطوير قدراتها النووية، وهو أمر توفره الهند المطللة على المحيط الهندي، أو صحراء راجستان، وتؤكد الكثير من المصادر الإعلامية أن إسرائيل كانت قد أجرت عدة تجارب نووية بالاتفاق مع الحكومة الهندية دون الإعلان عن ذلك. (7)

ج- دور الولايات المتحدة الأمريكية

تمثل إسرائيل بالنسبة للهند عامل مهم في تمتين علاقات دلهي بواشنطن، لما لذلك من انعكاسات هامة في قضية كشمير، وفتح أسواق لمنتجاتها في الأسواق الأوروبية والأمريكية. وهذا ما دفع الهند لتتوسع مجالات التعاون في الجوانب الاقتصادية والثقافية والأمنية والعسكرية، وأهمها ما يتعلق بالاقتصاد والتجارة والأمور العسكرية والنووية، فالتحالف مع إسرائيل يدعم الهدف الهندي الاستراتيجي في أن تصبح ومن منظور وبعد قومي هندوسي القوة الإقليمية العظمى في محيطها مثلما أصبحت إسرائيل أو هي في طريقها إلي ذلك،

تمثل إسرائيل بالنسبة للهند
عامل مهم في تمتين علاقات
دلهي بواشنطن، لما لذلك من
انعكاسات هامة في قضية
كشمير

وهذا ما تسعى الإدارة الأمريكية لتعزيزه على حساب الصين التي تمثل الخطر الأكبر بالنسبة لها، لذلك عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تطوير علاقاتها مع الهند خلال السنوات العشرة الماضية وذلك بالتزامن مع تطور العلاقات الإسرائيلية الهندية، وخلال تلك المرحلة الزمنية باعت واشنطن أسلحة إلى نيودلهي، بـ15 مليار دولار، وتخطط لإطلاق مشاريع عسكرية في الهند، خلال السنوات السبعة المقبلة، بـ30 مليار دولار. (8)

من ناحية أخرى هناك حاجة مُلحة لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة التي أصبحت القوة العظمى الوحيدة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. ذلك أن الهند أصبحت معرضة للضغط من جانب أمريكا بسبب نفوذها في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. ولذلك سيكون من شأن تطوير العلاقات مع إسرائيل أفساح الطريق لتعاون اقتصادي أوثق مع الولايات المتحدة، ورأت الهند أن العلاقات مع إسرائيل تساعد في إزالة أي توترات في العلاقات الهندية الأمريكية. (9)

ثانياً: تداعيات التقارب الهندي الإسرائيلي على القضية الفلسطينية

وفقاً لكل المعطيات السابقة فإن التقارب الهندي مع إسرائيل لن يكون إلا على حساب القضية الفلسطينية، ويمكن توضيح تداعيات هذا التقارب على القضية الفلسطينية على النحو التالي:

1- موقف الهند من الصراع العربي الإسرائيلي

يقوم موقف الهند السياسي من القضية الفلسطينية على الإيمان بضرورة التسوية السلمية للصراع بين العرب وإسرائيل، وهو موقف أعتاد الزعماء الهنود أن يؤكدوا عليه في كافة المناسبات المختلفة، غير أن هذا الموقف الهندي لا يختلف كثيراً عن موقف معظم الدول الأوروبية والكثير من دول العالم! حتى أن رئيس الوزراء الهندي أثناء استقبله الأخير لرئيس الحكومة الإسرائيلية حرص على تأكيد هذا الموقف ودعا مع نظيره نتنياهو إلى الاستئناف السريع للمفاوضات السلمية بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وهو أمر لا يمت لواقع وتطورات القضية الفلسطينية التي تمر بظروف حرجة بأي صله، فالإجراءات الإسرائيلية الأخيرة بشأن توسيع الاستيطان والإمعان في سياسة الحصار وتهميش دور السلطة الفلسطينية، وما صاحب ذلك من موقف الإدارة الأمريكية الأخير تجاه القدس، فضلاً عن أصرار الحكومة الإسرائيلية على عدم وجود شريك فلسطيني، وهي إجراءات تتركها الهند جيداً، ما يؤكد على أن تصريحات مسؤوليها لا تتجاوز مسألة الاستهلاك الإعلامي، وهذا ما ركزت عليه الصحفية "سيما مصطفى" الهندية التي زعمت خلال زيارة نتنياهو للهند، أنه لم تعد هناك علاقات فلسطينية هندية منذ زمن، وأرجعت الصحفية ذلك إلى الانحياز الهندي الكامل لإسرائيل. (10)

وتأكيداً على ما أشارت إليه الصحفية الهندية حول العلاقات الهندية الفلسطينية، فإن الدعم الهندي للقضية الفلسطينية وصل إلى أدنى مستوياته، وبات يقتصر على الجانب الإنساني، كإنشاء بعض المؤسسات التعليمية في رام الله، وتقديم عشرات المنح السنوية للطلاب الفلسطينيين، فضلاً عن تقديم مساعدات مالية سنوية تقدر بـ15 مليون دولار أمريكي فقط لوكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين.

فالهند التي كانت أبرز وأكبر حليف للفلسطينيين حين كانت أول دولة غير عربية تعترف بوثيقة الاستقلال الفلسطينية عام 1988، بعدما اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1975 وقررت منحها الوضع الدبلوماسي الكامل عام 1982، ورفضت في وقت مبكر قرار تقسيم فلسطين عام 1947، أضحت غير معنية بتطوير العلاقة مع فلسطين، وتحافظ عليها بسبب مصالحها الاقتصادية مع الدول العربية ومع إيران، ولرد اتهامات حزب المؤتمر الوطني الهندي لها بالتواطؤ مع إسرائيل، ولمراعاة العلاقة مع نحو ربع مليار مسلم في الهند. (11)

ولعل أبرز ما يعزز ذلك الجفاء في العلاقات الهندية الفلسطينية تلك التصريحات لمسؤولين هنود أكدوا خلالها عشية التصويت الهندي ضد إعلان ترامب بشأن القدس عاصمةً لإسرائيل، بأن العلاقات الهندية الإسرائيلية لا تتوقف على صوت في الأمم المتحدة على حد وصفهم، ولا شك في أن تراجع الموقف الهندي من القضية الفلسطينية ومحاولة إظهار نوع من التوازن في علاقاتها تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، يعود إلى أنها لم تعد تخشى أي ضغوط أو مهددات حقيقية، سواءً كانت سياسية أو اقتصادية، فرغم شراكتها مع إسرائيل، إلا أن علاقة تبادلها التجاري مع الإمارات العربية وصلت إلى 60 مليار دولار أمريكي سنوياً، ونحو خمسة مليارات دولار مع سلطنة عُمان، ولم تتعرض لأي أذى يذكر نتيجة اندفاعها نحو إسرائيل، حتى أن ملايين عُمالها في الخليج والعالم العربي عموماً لم يتأثروا بتبدل موقف الهند تجاه القضية الفلسطينية، وهي من أهم العوامل التي شجعت الهند على تبديل مواقفها.

2- تحول السلوك التصويتي للهند تجاه القضية الفلسطينية

تؤكد الخبرة التاريخية أن الهند من أهم الداعمين للقضية الفلسطينية في كافة المؤسسات الدولية، حيث صوت هذا البلد الكبير على أكثر من 30 قرار أممي لمصلحة القضية الفلسطينية، بدءاً من رفض قرار التقسيم رقم 181 عام 1947، مروراً بكافة القرار المتعلقة بإدانة إجراءات الاحتلال والاستيطان واللاجئين وحق تقرير المصير، وقد حرصت الهند على تأكيد دعمها للقضية الفلسطينية حينما صوتت بالموافقة على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي منح فلسطين صفة دولة غير عضو في الأمم المتحدة عام 2012، غير أن التحول الأبرز في السلوك التصويتي الهندي تجاه القضية الفلسطينية كان عام 2014، حينما أمتعت عن أدانة العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة الذي استمر لأكثر من خمسين يوماً، وراح ضحيته أكثر من 2100 شهيد وآلاف الجرحى. (12)

في هذه الأثناء كانت الكثير من التحليلات السياسية في إسرائيل قد أجمعت على أن مرد التغيير في الموقف الهندي يعود إلى "تاريندرا مودي" الذي أصبح رئيساً للوزراء في الهند في أبريل 2014، والذي قرر تغيير النهج الهندي إزاء إسرائيل. ولهذا يُعتبر الموقف الهندي انتصاراً للموقف الإسرائيلي في وقت ارتفعت فيه وتيرة المقاطعة الرسمية والشعبية في الغرب للمؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية، وكذلك لاقتصاد المستوطنات الإسرائيلية الجاثمة على الأراضي الفلسطينية، ولا ريب في أن هذا التحول الذي طرأ على السلوك التصويتي الهندي من شأنه أن يوفر لإسرائيل فرصة إضافية للإفلات من الإدانات في المحافل الدولية، فضلاً عن أنها تفتح السوق الهندية الكبيرة أمام المنتجات الإسرائيلية، بعد ارتفاع وتيرة المقاطعة الاقتصادية الشعبية والرسمية الغربية لإسرائيل خلال السنوات الأخيرة. (13)

تلك الإنعطافه غير المسبوقة في السياسة الخارجية الهندية تجاه القضية الفلسطينية يمكن إرجاعها لجملة من الأسباب أهمها:

- وصول "تاريندرا مودي" زعيم الحزب القومي الهندوسي "بهاراتيا جاناتا" الذي كان معارضاً قوياً لسلالة نهروديتي الذي تبنت سياسة خارجية داعمة لحقوق الشعب الفلسطيني.

- كما أن وقوف إسرائيل إلى جانب الهند ودعمها في قضية كشمير، تأخذ حكومة مودي بعين الاعتبار في سلوكها التصويتي، فضلاً عن الشراكة الاقتصادية والعسكرية المتطورة بين البلدين.

- لكن السبب الأهم في تبدل سلوك الهند التصويتي يمكن إرجاعه إلى الحالة العربية التي صاحبت العدوان الإسرائيلي على غزة، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، فرسماً تجاهلت النظم العربية العدوان وأفشلت كل الدعوات التي جاءت على استحياء، والتي طالبت بعقد قمة عربية، كما أن الرأي العام العربي لم يكن أفضل حالاً من مستوى الحكومات، وكان أقل من المأمول، فالمظاهرات الحاشدة التي شهدتها غالبية العواصم الأوروبية وبعض العواصم الإسلامية لم يكن لها أي صدى حقيقي في الشارع العربي، وهي عوامل شجعت الهند على الامتناع عن أدانة إسرائيل خلال عدوانها على غزة عام 2014.

ولعل أبرز ما يؤكد ذلك هو بحث الهند عن شيء من التوازن في علاقاتها بالصراع العربي الإسرائيلي، فتأثر سلوكها التصويتي بضغط الرأي العام العالمي والمحلي ظهر جلياً، حينما صوتت مؤخراً ضد إعلان الرئيس الأمريكي المتعلق بمدينة القدس عاصمةً لإسرائيل، ورغم الاحتجاج الإسرائيلي الرسمي على موقف الهند آنذاك، إلا أن دلهي أكتفت بالصمت وحاولت بعض الشخصيات الرسمية الهندية أن تقلل من تصويت الهند ضد إعلان ترامب، مؤكداً على أن العلاقات الهندية الإسرائيلية لا تتوقف عند قرار أمم متحدة على حد وصفهم.

لكن على أي حال كان للضغوط المحلية والعالمية دور كبير في التأثير على السلوك التصويتي الهندي، لكن ذلك لن يثني حكومة نتتياهو عن التأثير على موقف الهند من خلال إصرارها على تعميق العلاقات في المجالات المختلفة مع الهند، فزيارة نتتياهو الأخيرة للهند جاءت بعد موقف الهند في الأمم المتحدة الذي اعتبرته إسرائيل حينها مخيباً بالنسبة لها.

3- الهند كغطاء "وسيط" للتطبيع العربي مع إسرائيل

رغم التحولات الهامة التي شهدتها العلاقات العربية الإسرائيلية خلال السنوات الأخيرة، خاصةً على محاولات الانتقال من حالة التطبيع السري إلى العلني، واستعادة الهند من هذا الأمر لتطوير علاقاتها مع إسرائيل دون أي ضغوط، إلا أن دلهي باتت تشكل عامل أساسي في تسريع التطبيع العربي مع إسرائيل، ويبدو أن رئيس حكومة الأخيرة بات يمشى بخطى ثابتة نحو تنفيذ الوصية التي طرحها بن جوريون، والتي تهدف إلى تطويق إسرائيل لأعدائها العرب من خلال علاقات مع دول تحيط بهم؛ فعلاقة إسرائيل والهند قد يكون هدفها التطبيع مع دول الخليج العربية التي تربطها بالهند علاقات اقتصادية وسياسية ودبلوماسية وطيدة للغاية، لذلك تتخذ إسرائيل من إقامة علاقة دبلوماسية طبيعية مع دولة كانت تُعد حتى وقت قريب من أقوى أنصار العرب ومؤيديهم في العالم، خصوصاً مواقفها الإيجابية من القضية الفلسطينية والقضايا العربية الأخرى نقطة انطلاق مكملة لمحاولاتها الطبيعية مع العالم العربي.

وفي ظل تطور العلاقات الهندية الإسرائيلية أصبحت كل من دلهي وتل أبيب بحاجة أكبر للاستفادة من الوضع الجغرافي، لأن الأراضي الفلسطينية التي تحتلها إسرائيل باتت تستقبل نحو 45 ألف سائح هندي، كما أن الأخيرة تستقبل نحو 90 ألف سائح

إسرائيلي، وهو ما جعل الأراضي الأجواء السعودية ضمن أهم أهداف البلدين، لأن تمكن الطيران المدني الهندي والاسرائيلي من تسيير رحلات عبر الأجواء السعودية سيزيد من حجم السياحة الهندية الإسرائيلية وسيقلل من التكلفة الاقتصادية لتلك الرحلات التي تضطر إلى الالتفاف عبر البحر الأحمر. (14) (15)

في هذا السياق أكدت مصادر إسرائيلية مؤخراً موافقة المملكة العربية السعودية على تسيير طيران هندي عبر أجواءها متجهاً نحو إسرائيل والعكس، وهو ما يمكن أن يمهد لفتح الأجواء العربية أمام الطيران المدني الإسرائيلي.

4- القضية الفلسطينية ليست حجر عثرة في تطور علاقات الهند وإسرائيل

أغلب الظن أن التطورات التي شهدتها العلاقات الهندية الإسرائيلية قد أسست لمرحلة سيكون جوهرها على حساب القضية الفلسطينية، فرييس الوزراء الهندي، مودي يتجاهل التطرق للاحتلال ويحاول أن يُغيب القضية الفلسطينية عن خطابه وتصريحاته أثناء لقاءاته بالمسؤولين الإسرائيليين.

ولعل تجاهل رئيس الحكومة الهندية - التي كانت أكبر مناصر للقضية الفلسطينية - لرام الله بعد زيارته لدولة الاحتلال في أبريل من العام الماضي، والاضطرار إلى تخصيص زيارة لمقر السلطة الفلسطينية مؤخراً لأسباب سبق الإشارة إليها، يُعتبر سابقة خطيرة من شأنها أن تدفع بقيادات عالمية أخرى للتصرف بالمثل، مما سينعكس سلباً على موازين القوى بالصراع العربي الإسرائيلي ومزيداً من إضعاف القضية الفلسطينية.

فالهند لم تكن لتتبنى هذه المواقف السلبية من القضية الفلسطينية لولا الحديث التطبيعي العربي الإسرائيلي الذي يسير على قدم وساق خلال السنوات الأخيرة، كما أن التقاء المصالح بين البلدين والصفقات التي أبرمت بين نتنياهو ومودي، ستطوي خمسين عاماً من الموقف الهندي الداعم للفلسطينيين والمناهض للاحتلال الإسرائيلي. (16)

ويظهر هذا الأمر جلياً في سابقة تاريخية أقدمت عليها حكومة مودي دون أي اعتبار لعلاقتها بالقضية الفلسطينية، حيث شارك العشرات من قوات النخبة الهندية في تدريبات الجيش الإسرائيلي السنوية المسماة "الراية الزرقاء" في نوفمبر الماضي، وذلك بالقرب من حدود غزة التي شهدت حروباً إسرائيلية عدوانية قتلت آلاف الفلسطينيين، ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، فزيارة نتنياهو للهند شهدت أحداث كثيرة أبرزها، احتفال بلدية نيودلهي بحضور نتنياهو لتغيير أسم الميدان الخاص بالجنود الهنود الذين قُتلوا في معركة حيفا عام 1918، من ميدان "تين ماروتي" إلى "تين ماروتي حيفا تشوك"، اسم ميدان حيفا.

والأكثر من ذلك أن حكومة مودي لم تكتفى بهذا القدر فأخذت تبحث خلال زيارته لحيفا عن رابطة تجمعها بأصدقائه الإسرائيليين، حيث أشاد مودي بهذه المدينة التي سقط فيها 44 جندياً هندياً أثناء "تحريرها" من قوات الحكم العثماني. وكان من الأولى أن تُبدي الهند الكثير من الأسى على نحو مليون هندي خاضوا حروباً لا ناقة لهم فيها ولا جمل تحت التاج البريطاني، لكن سلوك حكومة مودي جاء ليؤكد على أن الاحتلال البريطاني لفلسطين وتسليمها لاحقاً إلى العصابات الصهيونية شيئاً يستحق الاحتفال.

تلك التحولات في الموقف الهندي جعلت المؤرخ الصهيوني الأمريكي "دانيال بايبس" يؤكد في دراسة أعدها مؤخراً أن الهند أصبحت من أكثر الدول المؤيدة لإسرائيل، لأن الأخيرة نجحت في أقناعهم بأن العلاقة مع إسرائيل أخلاقية تماماً، بسبب قبول الفلسطينيين للتطبيع معها وتعاون العرب المكشوف مع حكوماتها. (17)

وهنا لم يعد من المنطق -من وجهة نظر الهنود- التضحية بالمصالح الهندية الوطنية من أجل دعاوى أخلاقية خلافة، فهذا السلوك الهندي يوضح بشكل جلي أن القضية الفلسطينية لم تعد حجر عثرة في علاقات الشراكة الهندية الإسرائيلية التي جعلت القضية الفلسطينية تتوارى تدريجياً بين ملفات وزارة الخارجية الهندية باعتبارها عبئاً باقياً من فترة تاريخية آت لها أن تنتهي.

النتائج

- لا تقوت إسرائيل أي فرصة ولا تدخر أي جهد من أجل الوصول إلى الهند وغيرها من الدول الهامة والقريبة من العالمين العربي والإسلامي، وذلك لتفويت أي فرصة على الفلسطينيين وضرب علاقاتهم والتخلص من الداعمين لقضيتهم.

- تستغل إسرائيل محددات السياسة الخارجية الهندية التي تقوم على المصلحة القومية للهند والتي على أساسها تتحرك السياسة الهندية، وتضع إسرائيل كل إمكانياتها لتحقيق تطلعات الهند، وذلك عبر البحث عن التقاطعات والقواسم المشتركة، خاصة وأن إسرائيل تدرك جغرافية الهند وتستغل كل المداخل لتعميق الشراكة معها.

- كان للظروف الداخلية الهندية أثر كبير على التقارب الهندي مع إسرائيل، فالحكومة اليمينية الموالية لواشنطن تزداد قناعتها مع مرور الوقت بأن المقاومة الفلسطينية ما هي إلا جماعات إرهابية تضر بالمصالح الهندية مع إسرائيل، وهذا الأمر تجلى في مشاركة وحدات من الجيش الهندي في مناورة عسكرية إسرائيلية بالقرب من الحدود مع غزة.

- لا يمكن التقليل من أهمية مبيعات السلاح الإسرائيلي إلى الهند لأنها تزيد من قدرات إسرائيل على تطوير صناعاتها العسكرية على نحو يزيد أيضاً من قدرتها على تهديد الوطن العربي والإسلامي، كما أنها تساعد إسرائيل على مواجهة المخاطر الاقتصادية الناجمة عن أي انتفاضة شعبية أو مواجهة مسلحة، وبالتالي القدرة على الاستمرار في تهديد الشعب الفلسطيني والدول المجاورة.

- كما أن التعاون الهندي الإسرائيلي في باقي المجالات يضر بالقضية الفلسطينية بشكل مباشر إذ أنه يوفر فرصة لإفلات إسرائيل من الإدانة الدولية في المحافل المختلفة، كما أنه يفتح السوق الهندية الكبيرة أمام المنتجات الإسرائيلية مما يمكّن إسرائيل من الصمود أمام حركة المقاطعة الدولية.

التوصيات

- يجب أن يكون الخطاب السياسي الفلسطيني الموجه للهند خطاباً حضارياً، لأن اليمين الهندوسي المتطرف ينظر إلى العالم العربي والإسلامي بحساسية مفرطة، وهو أمر تستغله إسرائيل جيداً في علاقاتها مع الهند، لذلك علينا كفلسطينيين تحييد الدين وعدم توظيفه في علاقاتنا الرسمية مع الهند.

- إذا كانت إسرائيل قد نجحت في توظيف مصالحها مع الهند باستغلال النظرة السلبية التي يحملها اليمين الهندي للعالم العربي والإسلامي، فعلى الفلسطينيين أن يستغلوا أكبر أقلية مسلمة في الهند، فهذه الأقلية الضخمة بإمكانها التأثير على السياسة الخارجية الهندية، وقد اضطرت الحكومة الهندية إلى رفض إعلان ترامب بشأن القدس تحت الضغط الإسلامي للمجتمع الهندي.

- من الواضح أن العمل الدبلوماسي الفلسطيني لا يرتقي إلى المستوى المطلوب، ولم تحاول الدبلوماسية الفلسطينية القيام بدورها في الساحة الهندية، وذلك على عكس نتناهو الذي اصطحب خلال زيارته الأخيرة للهند الطفل "موشيه هولديسبيرغ" الذي بقي على قيد الحياة في التفجير الذي استهدف المركز اليهودي في مدينة مومباي عام 2008 وقُتل فيه والدا الطفل.

المراجع:

1. الهند وإسرائيل من قطيعة إلى تحالف استراتيجي، الجزيرة نت 2017.
2. العلاقات الهندية الإسرائيلية تطور متصاعد، تقرير خاص، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، يوليو 2017.
3. إسرائيل والهند المصالح المتبادلة والتحالف الاستراتيجي، وكالة قدس برس انترناشيونال، 4 يوليو 2017.
4. عدنان أبو عامر، أبرز مؤشرات العلاقات الهندية الإسرائيلية عشية زيارة نتناهو، عربي 21، 14 يناير 2018.
5. العلاقات الهندية الإسرائيلية، مركز دراسات الصين وآسيا، 2009.
6. India's new foreign minister a strong fan of Israel www.timesofisrael.com
7. أنجي وحيد فخري، إسرائيل ودول الجنوب: دراسة في العلاقات الإسرائيلية الهندية، 2013.
8. أمريكا تقوي الهند لإضعاف الصين.. فهل تُعشل باكستان الخطة؟، وكالة الأناضول، 27 أكتوبر 2017.
9. أنجي وحيد فخري، إسرائيل ودول الجنوب: دراسة في العلاقات الإسرائيلية الهندية، 2013.
10. محمد مكرم بلعاوي، فلسطين بين مثالية نهرو وواقعية مودي، الجزيرة نت، 9 يناير 2018.
11. الهند وفلسطين وشعرة معاوية، تقرير، الجزيرة نت 10 فبراير 2018.
12. محمود القدرة، السلوك التصويتي للهند في الأمم المتحدة تجاه القضية الفلسطينية، دراسة، جامعة الأسراء غزة، 2017، ص 17.
13. نبيل السهلي، تحولات العلاقات الإسرائيلية الهندية، الجزيرة نت، أغسطس 2015.
14. صالح النعامي، تأكيد هندي إسرائيلي يقابله نفي سعودي بشأن فتح الأجواء للطيران، العربي الجديد، 7 فبراير 2018.
15. محمد مكرم بلعاوي، هل تكون الهند بوابة إسرائيل الخلفية للتطبيع الاسرائيلي مع العرب، عربي 21، يناير 2018.
16. صبحي حديدي، زواج الهند وإسرائيل اقتصاد بطعم التعصب القومي، صحيفة القدس العربي 7 يوليو 2017.
17. محمد مكرم بلعاوي، زيارة نتناهو للهند فلسطين بين يمينين، الجزيرة نت، 15 يناير 2018.